

نموذج براغماتي مفضوح يودي بالمارونية السياسية

ميشال عون

رئيس تحالف مع حزب الله يقود لبنان إلى الخراب



كارثة مرفأ بيروت، عوض أن يتحمل عون المسؤولية عن حصولها بشجاعة، ظهر أمام وسائل الإعلام ليقول إنه ليست لديه صلاحيات لإصدار أمر بنقل نترات الأمونيوم التي كانت مخزنة بعلمه وعلم مسؤوليه الأمنيين.



القاعدة الشعبية التي يقال إنها رأت في عون "المخلص" سرعان ما وضعت إلى جانب باقي الطبقة السياسية التي انغمست في الفساد، خصوصاً بعدما اكتشفت تفاصيل التسوية التي أبرمها مع النظام السوري.

الاتهام بحدّة إلى عون مطالباً بتتبعه ومحاكمته، وكذلك فعل القاضي شكري صادر حين طالب باسم "الثورة" بتتبعه عون لأنه كان يعلم ولا مجال ليذرع بالنفي كما فعل يوماً الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله حين قال "لو كنت أعلم".



**هفوات عون وزلات لسانه
الكثيرة تجعله محط انتقاد
اللبنانيين على مختلف وسائل
التواصل، ولم يسلم من
الانتقادات لمختلف الصحافيين
والمحللين السياسيين، وحتى
الذين كانوا يدورون في فلكه
وفلك حزب الله على شاشات
التلفزيون وصفحات الجرائد**

وكان عون قبل أسبوع على الكارثة الفاجعة التي حلت بلبنان والذي أصبحت عاصمته بيروت وللمرة الأولى منذ عهد الفينيقيين من دون مرفأ، أعلن أنه سيسلم خليفته بلداً أفضل مما استلمه، فكرت سبحة التعليقات الساخرة على الشكل التالي "في عهد عون القوي، طار الدولار"، "في عهد عون القوي، انقطعت الكهرباء"، "في عهد عون القوي، صرنا بلا بور (مرفأ)".

وعقب الانفجار أعلن رفضه لقيام تحقيق دولي متذرعاً بأن ذلك ينتهك سيادة لبنان و"مش على عهدي بقيل تنتهك السيادة"، فرد المنتقدون معددين الانتهاكات اليومية للسيادة اللبنانية من قبل إسرائيل جواً، براً وبحراً إلى جانب التدخل الفاضح لإيران من خلال "حزب الله" في الشؤون الداخلية اللبنانية وصولاً إلى تدخل الرئيس الفرنسي، ولو أن خطوته مشكورة، بفرض شروط على لبنان لكي تقبل الدول المانحة مساعدته.

هذا غيظ من فيض العهد القوي والرئيس القوي، هذا الشعار الذي رفعه عون وأنصاره والذي بدأ جليا أنه لم يجلب سوى الوبال على لبنان وأهله، وأصبح اللبنانيون يعدون الأيام لنهاية هذه الولاية الكارثية التي لم يشهدوا مثلها في تاريخهم، واضعين كل آمالهم اليوم في أن تصدق نوايا الدول العربية والعالمية في مساعدة لبنان على الخلاص من أزماته المتعددة وأولها عهد عون وصهره، مرددين المقولة الشهيرة: إذا غضب الله على قوم جعل صيفهم شتاءً وشتاءهم صيفاً، لكن بلسان حالهم: غضب الله على اللبنانيين فأتى لهم بميشال عون رئيساً.

مواطنون يعملون في هذه الدول لخطر فقدان أرزاقهم وطردهم من أعمالهم فيها. ثم جاءت حادثتان كادت أن تودي بالبلاد إلى أتون الحرب الأهلية مجدداً في الشويفات وقبرشمون، حيث أن الزيارات الاستفزازية المناطقية التي كان يقوم بها باسيل، تسببت بحوادث إطلاق نار ذهب ضحيتها 3 شبان من المنطقة، فعوض أن يقوم "بي الكل" بالدور الطبيعي لاحتضان المصابين، انحاز كما كان متوقفاً إلى جانب "صهره" وعرقل التحقيقات القضائية بهدف "الانتقام" للمبطن الذي يكنه تجاه الوزير شهيد متهماً بإياه بتدبير محال اغتيال باسيل. إضافة إلى تعطيله التشكيكات القضائية التي ردها من دون أن يمهرا بتوقيعه بعدما أصدرها مجلس القضاء الأعلى للمرة الأولى من دون تدخل سياسي، ليزيد أزمة القضاء الذي يعاني من التدخلات السياسية المختلفة في أحكامه، كما أنه "ساير" صهره في جميع التعيينات الإدارية والمالية حيث "استولى" على معظم التعيينات في المراكز "الممنوحة" لأبناء الطوائف المسيحية، فكانت تصدر حكراً لصالح من تبقى من "العونيين" الذين أصبحوا "باسيليين".

كارثة المرفأ

حلت كارثة مرفأ بيروت، فعوض أن يتحمل بشجاعة مسؤولية الإهمال، إن لم نقل انتهاك السيادة وتحميل إسرائيل مسؤولية انفجار العنبر رقم 12 في المرفأ، ظهر عون أمام وسائل الإعلام ليقول إنه بلا صلاحيات تخوله إصدار الأمر بنقل المحتويات الخطيرة من نترات الأمونيوم التي كانت مخزنة بعلمه وعلم المسؤولين الأمنيين الذين يرفعون إليه التقارير الأمنية اليومية، ورفض إجراء تحقيق دولي لأنه في قراره نفسه يعلم أن "إهماله" سيفضح أو على الأقل يستظهر الحقيقة جلية، لأن القضاء المحلي بمعظمه سيحاول طمس الحقيقة والنواب السابقة دليل على ذلك. وارتفعت مجدداً الأصوات التي تنادي بتحميل عون وحكومة حسان دياب مسؤولية الكارثة، فظهر المحامي الدولي وأستاذ القانون في جامعات باريس الدكتور شيلي ملاط على شاشات التلفزيون ليوجه اصابع

الكل وهو الذي لم يعد خافياً على أحد بأنه ليس أباً سوى لطفل واحد مدلل هو جبران وتمتد أبوته ورعايته إلى كل من يوالي "وليه".

عونيون أم باسيليون

سقطت مقولة "بي الكل" في مهدها، إذ أن وصول عون إلى الرئاسة جاء عبر "تسوية" أوصلت معه سعد الحريري رئيساً للحكومة، غير أن هذا الأخير وجد نفسه مكبلاً بمطالب باسيل وتحكمه بشؤون سياسة حكومته، فراح يعرقل كل ما له علاقة بشؤون تسيير الدولة من تعيينات مالية إدارية وقضائية، وصولاً إلى سلوكه طريقاً تخالف بالشكل والمضمون الطريق الطبيعية للبنان صوب محيطه العربي، فزاعزاع وأغضب كل الدول الصديقة والشقيقة خاصة الخليجية منها باصطفاه إلى جانب فريق "الممانعة" المتمثلة بإيران وسوريا، رامياً عرض البحر مشاعراً وأمال غالبية اللبنانيين ومعرضاً أكثر من نصف مليون

وكانت نتائجها الفعلية فراره بثياب النوم وترك عائلته خلفه في قصر بعيداً ولجؤته إلى السفارة الفرنسية عقب إبرام اتفاق الطائف وانتخاب الرئيس الراحل رينيه معوض رئيساً ثم بعد اغتياله وانتخاب الرئيس الراحل إلياس الهراوي خلفاً له، والوصول بتدخل دولي إلى اتفاق قضى بـ"ترحيل" عون من لبنان ونفيه إلى فرنسا.

ظاهرة مسيحية

الحقيقة يقال إن عون تمكن خلال فترة تواجده في قصر بعيداً من تكوين هالة شعبية تحولت إلى ظاهرة كان سببها انتهاجه خطاباً شعبوياً من الدرجة الأولى إلى جانب تدمر قسم لا يستهان به من القاعدة المسيحية التي ضاقت ذرعاً بتصرفات ميليشياوية كانت سائدة على معظم الأراضي اللبنانية أثناء الحرب الأهلية، غير أن هذه القاعدة التي رأت في عون "المخلص" سرعان ما وضعت إلى جانب باقي الطبقة السياسية التي انغمست في الفساد خصوصاً بعدما اكتشفت تفاصيل التسوية التي أبرمها مع أركان نظام الوصاية السورية في لبنان أثناء ولاية الرئيس أميل لحود والتي أعادت إلى لبنان مسترجعاً جميع حقوقه المالية السابغة، ومنذفاً صوب راعيه الأول حزب الله وإبرام اتفاق "مار مخايل" الشهير معه.

منذ تلك العودة، سلك عون الطريق المعاكسة تماماً للمبادئ التي ظل ينادي بها، كما أن الحلف الوثيق الذي أبرمه مع حزب الله جعل الأخير بمثابة الذراع الأولى (والوحيدة حتى اليوم) في الدفاع عنه وعن موقفه الذي عطل الدولة برمتها فقرة عامين ونصف العام بغية انتخابه رئيساً للجمهورية.

ومنذ ذلك اليوم الذي يصفه اللبنانيون بالمشؤوم بدأ انهيار الدولة بجميع مؤسساتها، وكثرت هفوات عون وزلات لسانه إلى درجة أصبح معها محط انتقادات اللبنانيين على مختلف وسائل التواصل الاجتماعي، ولم يسلم من الانتقادات المتنوعة لمختلف الصحافيين والمحللين السياسيين الذين كانوا يدورون في فلكه وفلك حزب الله على شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد وخصوصاً أن الطامح للوصول إلى بعيداً نجح في ذلك ورفع شعار "بي

العام 1984 على تعيين "العقيد" عون، آنذاك، والذي كان يتولى قيادة اللواء الثامن المنتشر على جبهة الحرب الأهلية في منطقة سوق الغرب الجبلية، حتى بدأت تتحقق أولى "أحلام" هذا الرجل الطامح للوصول إلى سدة الرئاسة عبر "انتصارات" حربية وهمية في معركة تلة 888 الشهيرة التي تدخلت فيها يوارح الجيش الأميركي لوقف الهجوم على سوق الغرب، في وقت كان "البطل" يدير العمليات العسكرية بعيداً عن جنوده من غرفة عمليات قيادة الجيش. ويمكن العودة في هذا الاطار إلى ما كشفه الصحافي الفرنسي الشهير آلان مينارغ في كتابه "أسرار حرب لبنان" من أن عون كان من ضمن الفريق الاستشاري الضيق لرئيس القوات اللبنانية آنذاك الرئيس الراحل بشير الجميل، ورغم فارق السن بينهما إلا أنه من الواضح أن عون أراد تقليد خطوات الجميل كسبيل لتحقيق حلمه الرئاسي.

وبطولاته العسكرية بداها بتفنيذ جولة استطلاعية على معاير الجبل الغربية من جبهة سوق الغرب من خلال مرافقة قائد القوات الإسرائيلية التي كانت تحتل لبنان آنذاك، ولولا وجود الإسرائيليين لما كان باستطاعة عون رد الانتقام الشعبي الذي أظهره الدروز لدى مروره على مستديرة "عاليه" حيث هاجمته إحدى النسوة ورمته بحذائها.

ونتيجة الأزمة السياسية الكبيرة التي تجلت بعدم انعقاد المجلس النيابي لانتخاب رئيس للجمهورية يخلف الرئيس الجميل قبيل نهاية عهده، وجد الأخير نفسه مرغماً على تشكيل حكومة عسكرية انتقالية مهمتها تأمين انعقاد مجلس النواب لانتخاب رئيس للجمهورية، لكن طموحات عون الرئاسية وجلوسه، المؤقت، على كرسي رئاسة الحكومة في قصر بعيداً زادت على ما يبدو من تعطشه إلى السلطة فمنع انعقاد المجلس مراراً من خلال "خطف" النواب المسيحيين الذين كانوا سيؤمنون نصاب انعقاد الجلسة.



**الخطيئة الكبرى في مسيرة
عون تأسيسه لما أسماه «تيار
الإصلاح والتغيير» والذي سلمه
طوعاً إلى صهره باسيل، حيث
لم يحقق هذا التيار ولو خطوة
واحدة على صعيد مقاربة شعاره
بالواقع، لا بل ارتكب ما لم يكن
يخطر على بال**

وما زاد الطين بلة حربان خاسرتان شنهما عون، أولاً بوجه غريمه قائد القوات اللبنانية سمير جعجع وأسمائها "حرب الإلغاء" كان هدفه المعلن منها استعادة الحوض الخامس في مرفأ بيروت وإعادته

صلاحيات لإصدار أمر بنقل نترات الأمونيوم التي كانت مخزنة بعلمه وعلم مسؤوليه الأمنيين.

لم يمر على لبنان الذي سيحتفل بالذكرى المئوية لإعلانه في الأول من سبتمبر المقبل، عهد أسوأ من العهد الذي بدأ في أكتوبر من العام 2016 بعدما فرض حزب الله المهيم بسطوة سلطه على الساحة السياسية قائد الجيش وجنرال "الحروب الخاسرة" السابق ميشال عون رئيساً عقب فراغ دام لسنتين ونيف منذ نهاية ولاية العماد ميشال سليمان في 24 مايو من العام 2014.

والكلام في الانحدار السريع للوضع الاقتصادي والمالي والاجتماعي والقضائي والأمني الذي وصل إلى ذروته في عهد عون لا يقال من باب التجني، حيث أن حناجر اللبنانيين الذين افترشوا الشوارع والساحات، من مدينة طرابلس الشمالية وصولاً إلى النبطية وصور في الجنوب مروراً بزحلة وسعدنايل في البقاع والعاصمة بيروت، بحت نتيجة لتراجع المستوى المعيشي إلى أدنى درجاته وتفشي الفساد المرتبط بالسلطة الحاكمة، لتصدح كلها بشعار واحد: "ارحل ارحل ميشال عون"، لا بل تعدتها في الأيام التي أعقبت الزلزال الذي ضرب مرفأ العاصمة بيروت في الرابع من أغسطس الحالي حيث نصبت مجسمات لمشاقق في ساحة الشهداء علقت عليها رموز السلطة الفاسدة فيما أحرق المجسم الذي علق عليه الجنرال عون.

إرث الهزائم

كثيرون هم الذين وجهوا انتقاداتهم إلى الفريق المحيط بالرئيس عون في قصر بعيداً في معرض مهاجمة العهد بعيد انتخاب عون رئيساً، حتى أن العديد من السياسيين حاولوا تحييده في معرض هجومهم على سياسة العهد فتارة كانوا يستهدفون صهره ورئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل وتارة مستشاره القانوني الوزير السابق سليم جريصاتي، غير أنه منذ انتفاضة 17 أكتوبر 2019 لم يعد المنتقدون يفرقون بين أزمات العهد وسيد له بل صارت الانتقادات والانتهاكات توجه إلى عون مباشرة خصوصاً بسبب "زلات اللسان" التي وقع فيها والتي هي من سمات الزمعة من حيث دعوة "بيلي مش عاجين يفلوا" و"شو هالشعب الطز" وغيرها الكثير.

والطامة الكبرى في مسيرة عون تأسيس ما أسماه "تيار الإصلاح والتغيير" والذي سلمه طوعاً إلى صهره باسيل، حيث لم يحقق هذا التيار ولو خطوة واحدة على صعيد مقاربة شعاره بالواقع، لا بل ارتكب من الفساد ما لم يكن يخطر على بال، رغم أن باسيل تحدى الجميع الاتيان بما يثبت فساد، لكن أقرانه من السياسيين يستطيعون الحديث في هذا المجال إلى ما لا نهاية، حتى أن جمهور تياره بدأ بالانتفاق وكبل اتهامات الفساد والفوقية بحق باسيل جملة وتفصيلاً. منذ أن وجد الرئيس السابق أمين الجميل نفسه مرغماً في